

من جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشريعة النبوية المحمدية 1933.

From the Journals of the Association of Algerian Muslim Scholars, "Al-Sharia Al-Nabawiyya Al-Muhammadiyah" 1933.

1- بوعبد الله عبد الحفيظ، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2 (الجزائر).

a.bouabdalah@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2025 /04/08 تاريخ القبول: 2025 /05/26 تاريخ النشر: 2025 /06/05

ملخص: بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم 5 ماي 1931، وضعت لنفسها مشروعاً مهماً محفوفاً بالمخاطر في التواصل مع الشعب الجزائري، ألا وهو الصحافة باللسان والقلم العربي، وهذا رد صريح على الصحافة الإستعمارية وأكاذيبها وزيف أخبارها، وكذا الولوج على المجتمع العربي بلغته ولسانه.

جاء إهتمام الجمعية بالصحافة عموماً بعد نجاح تجربة الشيخ عبد الحميد بن باديس في صحيفة الشهاب، لذلك أسست جرائد خاصة بها مثل السنة النبوية المحمدية (مارس 1933) التي لم تعمر كثيراً، وهذا لمختلف الجهات التي فتحت ضدها خاصة من طرف جمعية علماء السنة، وبعض الزوايا والطرقين الذين يقتاتون على البدع والخرافات.

واصلت الجمعية جهادها بتأسيس جريدة الشريعة النبوية المحمدية في نفس السنة (1933)، كما سارت على خطة سابقتها لكنها لم تعمر طويلاً (7 أعداد). لذلك لم يهتم بها الدارسون كثيراً، وهو ما حدى بنا اليوم إلى تقديمها في هذا المقال العلمي، ونطرح الإشكالية العامة للبحث: إلى أي مدى ساهمت هذه الجريدة في تبليغ رسالة الجمعية رغم قصر عمرها؟ وما هو الجديد الذي قدمته سواء في شكلها أو مواضيعها؟ أم أنها مجرد نسخة

عن سابقتها؟

كلمات مفتاحية: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الصحافة العربية، محمد السعيد الزاهري، التنصير، الحركة الإصلاحية.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

With the establishment of the Association of Algerian Muslim Scholars on May 5, 1931, it embarked on a significant and perilous project to communicate with the Algerian people, namely, journalism in the Arabic language, both spoken and written. This was a direct response to the colonial press and its fabrications and false news, as well as an effort to reach the Arab society in its own language.

The Association's interest in journalism, in general, came after the success of Sheikh Abdelhamid Ben Badis's experience with the "Al-Shihab" newspaper. Therefore, it founded its own journals, such as "Al-Sunna Al-Nabawiyya Al-Muhammadiyah" (March 1933), which did not last long (13 issues), due to the various fronts opened against it, especially by the Association of Sunni Scholars and some Zawiyas and Sufi orders that thrived on heresies and superstitions.

The Association continued its struggle by establishing the "Al-Sharia Al-Nabawiyya Al-Muhammadiyah" newspaper in the same year (1933), following the footsteps of its predecessor, but it also did not last long (7 issues). Therefore, scholars did not pay much attention to it, which prompted us today to present it in this scientific article, raising the general research problem:

To what extent did this newspaper contribute to conveying the Association's message despite its short lifespan? What new did it offer in terms of form or content? Or was it merely a copy of its predecessor?

Keywords: Association of Algerian Muslim Scholars, Arabic Press, Mohamed El Said Zahiri, Proselytization, Reform Movement.

● مقدمة :

بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم الخامس من شهر ماي 1931، وضعت لنفسها أهداف بعيدة تسير بخطى ثابتة لتحقيقها، وكان منها: الدفاع عن الإسلام وتطهيره من مختلف الشوائب خاصة الطرقية الفاسدة، والحفاظ على اللغة العربية من خلال الدعوة إلى التعليم وفتح المدارس، والتواصل والإنتشار داخل أوساط المجتمع من خلال الصحافة العربية.

يعتبر الهدف الثالث، من أهم التحديات التي رفعتها الجمعية في محاولتها التواصل مع الشعب الجزائري الذي يعاني من الجهل والأمية، قصد شرح برنامجها، وأهدافها، وضمان الإستمرار في رسالتها. لذلك أنشئت العديد من الجرائد وهي استمرار للرسالة البادية مع جريدة الشهاب منذ 1925. فظهرت جريدة السنة النبوية المحمدية (1933) التي لم تعمر طويلا وقامت الإدارة بأدائها وكتمت أنفاسها في نفس سنة مولدها، ثم أصدرت الجمعية جريدة الشريعة النبوية المحمدية في نفس الشهر، والتي تعتبر إمتدادا للأولى في المبدأ والمنهج.

من هنا جاءت هذه المساهمة المتواضعة للتعريف بجريدة الشريعة النبوية المحمدية، وما هو الدور الذي

لعبته في مواصلة رسالة الإصلاح من خلال كتابها ومقالاتها ومواضيعها؟ وكيف كانت نهائها؟

1. التعريف بجريدة الشريعة النبوية المحمدية:

برزت هذه الجريدة الى الوجود بعد توقيف جريدة السنة النبوية المحمدية يوم 2 جوان 1933، فصدر عددها الأول يوم الاثنين 24 ربيع الأول 1352 هـ الموافق ل: 17 جويلية 1933 والذي جاء على الشكل التالي:

الشريعة النبوية المحمدية، لسان حال جمعية العلماء المسلمين، حيث عبرت عن نفسها بجريدة العلماء والإشتراك فيها تأييد لهم. تصدر كل يوم الإثنين من كل الأسبوع، عن الجمعية تحت إشراف رئيسها الأستاذ عبد الحميد بن باديس⁽¹⁾. يتولى تحريرها الأستاذان العقبي والزاهري، وهو استمرار لنمط تسيير السنة من قبل. وبين الدكتور مولود عويمر أن السنة كان يسيرها العقبي ويساعده الزاهري.

1- محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2007، ص224.

ويبدو أن الحال كذلك مع الشريعة التي لا تختلف عن سابقتها كثيرا⁽¹⁾. وصاحب الامتياز هو أحمد إسماعيل بوشمال*.

تحمل على اليمين شعار الآية الكريمة "ثم جعلناك على شريعة من الأمر، فاتبعها" (الجاثية، الآية 18). وعلى جهة الشمال حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): "من رغب عن سنتي فليس مني". وهو نفس الحديث الذي بدأ مع جريدة السنة وإنتهى مع الصراط السوي وذلك هو منهج الجمعية في السير على السنة المطهرة.

جاء العدد منها في ثماني صفحات به مواضيع عديدة منها تعطيل جريدة السنة، لكن أغلبها خصص للاجتماع العام الذي عقدته الجمعية يومي الإثنين والثلاثاء 3، 4 ربيع الأول 1352هـ. كما يبدو للقارئ إستمرارها على نهج سابقتها التي وأدت قبل ظهورها بسبعة عشر يوما، وهذا مايتجلى في إفتتاحيتها التي خطها الشيخ الرئيس بيده في الرد على المغرضين والمعادين للجمعية التي هدفها تربية الشعب الجزائري وثقافته تحت مظلة فرنسا المتقدمة (الحضارية).

1- مولود عويمر، جريدة السنة: التجربة الإعلامية الأولى ل. ج.ع.م.ج. المجلة التاريخية الجزائرية، ع10، ديسمبر 2018، ص238.

* أحمد إسماعيل بوشمال، ولد بقسنطينة سنة 1899، وهو من أبرز رجال الجمعية، حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه كما دخل المدرسة الفرنسية حيث نال حظا كبيرا منها، دخل مجال التجارة لكنه واصل تعليمه على يد الشيخ ابن باديس، وساهم معه لاحقا في إنشاء المطبعة الإسلامية حيث أثبت كفاءته وإخلاصه في تسيير صحف الجمعية إلى إستشهاده.

وبعد وفاة الشيخ في 16 أفريل 1940، واصل رسالته مع خلفه الشيخ الإبراهيمي، حيث إنتخب عضوا في المجلس الإداري للجمعية سنة 1946، حيث أسندت له الشؤون المالية، وكذا الإشراف على طلبة معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس.

إنظم إلى الثورة التحريرية تحت غطاء تسيير مدرسة التربية والتعليم حيث إعتقل مرات عديدة كما تعرض بكل أشكال للتعذيب في مزرعة أمزيان وفي الأخير تم إغتياله في شهر سبتمبر 1958، ودفن بمكان سري ولايعرف له قبر. ينظر، مقلاتي عبد الله، إسهام شيوخ معهد عبد الحميد بن باديس وطلابه في الثورة التحريرية، ت، عبد العزيز فيلالي، دار الهدى، الجزائر، 2014، وكذلك، أحمد حماني، سير العلماء، شهداء علماء معهد ابن باديس، قصر الكتاب، الجزائر، 2004. ص 52-53.

وفي هذا قال: " وبعد فما ينقم علينا الناقمون؟ أينقمون علينا تأسيس جمعية دينية إسلامية تهذيبية تعين فرنسا على تهذيب الشعب وترقيته ورفع مستواه إلى الدرجة اللائقة بسمعة فرنسا ومدنيتهما، وتربيتها للشعوب وتثقيفها، فإذا كان هذا ماينقمون منا فقد أساءوا إلى فرنسا قبل أن يسيئوا إلينا. وقد دلوا على رجعية فهم، وجمود لا يتناسبان مع المبادئ الجمهورية، ولا مع حالة هذا العصر"⁽¹⁾.

يبدو أن الجمعية غيرت خطتها وابتعدت عن المواجهة، وسلكت مسلك التقية في الوصول إلى بغيتها تحت الحراسة الفرنسية، لأنها لا تريد أن تترك مكانها للإستعمار الفرنسي يوجه الشعب الجزائري كما يشاء، بل هي تقوم بواجبها الأخلاقي والتربوي بما يحتمه عليها دينها وواجبها إتجاه الأمة، وإذا فهم البعض أن الجمعية إرتمت في أحضان الإستعمار فهؤلاء لا يعرفون حقا الجمعية ولا رئيسها الذي خط هذه العبارات بيمينه. لكنه إحتى بفرنسا ضد أعداءه من الطرقيين، والمتعاونين مع الإدارة ضد الشعب الجزائري، فهو بذلك طبق ماجاء في الأثر (اللهم أضرب الظالمين بالظالمين، وأخرجنا من بينهم سالمين). ورغم تعطيل جريدة السنة لكن الجمعية رجعت وهذا في حد ذاته إنتصار وذكاء يحسب لها وللشيخ في عدم رمي المنشقة -كما يقال - وترك الساحة فارغة.

لذلك فإن صاحب المقال بين كما قال الدكتور محمد ناصر، أن الجمعية ستمضي في طريقها الذي خططته لنفسها، محققة الغايات التي من أجلها أنشأت وهي: تثقيف الشعب الجزائري، ورفع مستواه العقلي، والخلقي، والعلمي، كما أنها لم تؤسس إلا لتخلف السنة، سواء في فصولها ومواضيعها، أو نهجها الإصلاحي وكتابها الذين واصلوا مسيرتهم معها⁽²⁾.

1- الشريعة النبوية المحمدية، تعطيل السنة وإصدار الشريعة، العدد 1، السنة الأولى، قسنطينة، الإثنين 17 جويلية 1933.

2- محمد ناصر، المرجع السابق، ص 227، وينظر الشريعة النبوية المحمدية، تعطيل السنة وإصدار الشريعة، ع 1. (نفسه).

لم تعمر جريدة الشريعة النبوية المحمدية طويلا، سوى سبعة أعداد على مدار واحد وأربعين يوما، حيث صدر عددها الأخير يوم 28 أوت 1933، وجاء قرار إعدامها في اليوم الموالي دون أي سند قانوني سوى سيف الإدارة المسلط على رقبة الصحافة العربية، حيث كتبت المرصاد: " وفي يوم 28 أوت سمعنا بتعطيل الشريعة لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ... حتى فاجأتنا الدهشة، خامرنا الاستغراب لما تعامل به الصحافة العربية بهذه البلاد ... وهذا تعطيل يعتبر تنفيذا للقوانين الإدارية (الأنديجينا) ⁽¹⁾. وتترك هذه الجريدة الساحة لأختها الصراط السوي التي واصلت الرسالة الإصلاحية يوم الحادي عشر من شهر سبتمبر من نفس السنة لكنها سقطت في ميدان الشرف مطلع الفاتح من العام 1934، حيث هددت الإدارة بالتصدي لجميع مشاريع الإصلاح خاصة التي تقودها الجمعية وجاء في قرار تعطيلها رسالة واضحة عن الموقف من صوت الحق الذي رفعته الجمعية: " إن هذا الإجراء سيتخذ ضد كل الصحف الحاملة لهذه النزعة، أينما وجدت من التراب الجزائري، مهما يكن صاحب إمتيازها، ومهما تكن المطبعة التي تسحب فيها" ⁽²⁾.

2- أقلام جريدة الشريعة النبوية:

لقد حافظت هذه الجريدة على أقلام سابقتها " السنة المحمدية "، وكذا نفس المواضيع في الدفاع عن أهداف الجمعية ضد الطرقيين، والزوايا الفاسدة، كما نشرت جميع أعمالها ونشاطاتها للرأي العام حتى تعبد الطريق لاحقا للمزيد من الإنخراط، وكذا لتلقي الهبات والمساعدات لمواصلة مشاريعها الخيرية خاصة في بناء المدارس، ودعم الجمعيات المختلفة.

ومن الأقلام الرائدة في هذه المجلة نجد محمد السعيد الزاهري بمواضيعه الجيدة وحسه العالي في الرد على الطرقيين حتى ناله منهم شركبير وقاموا بالإعتداء عليه في وهران، وكذلك الشيخ عبد الحميد باديس الذي قدم إفتتاحيتها وكل المواضيع التي تخص الجمعية.

1- المرصاد، تعطيل الشريعة والنبراس، العدد 57، السنة الثانية، الجمعة 1 سبتمبر 1933.

2- محمد ناصر، المرجع السابق، ص 266.

أما باقي الأقسام فقد تنوعت مساهماتهم سواء الشعرية مثل الشاعر محمد العيد آل خليفة، أو الشيخ مبارك الميلي، والشيخ الإبراهيمي، والعقبي، والورثيلاني الذي ينهي كتاباته بامضاء الفتى القبائلي. وهذا ما أضفى التنوع والتجدد على هذه الأعمال والمقالات المختلفة.

3- مواضيعها المختلفة:

على الرغم من قصر عمر هذه الجريدة، إلا أنها حملت بين طياتها أعمالا جلييلة لكبار رجال الجمعية في شتى المواضيع والقضايا وهذا ما جعل الإدارة تتربص بها الدوائر حتى وأدتها مثلما وأدت سابقتهما، لكن ذلك لم يضعف من عزم رجالها في مواصلة رسالتهم مع الصراط السوي. ومن بين مواضيعها العميقة:

1-3- - التواصل بين الجمعية والشعب الجزائري:

إهتمت الجمعية بموضوع تواصلها مع الشعب منذ تأسيسها وحرصت على إعلام الشعب الجزائري بكل نواياها ومشاريعها، وهذا المشروع ما هو إلا إمتداد لجهود الشيخ عبد الحميد بن باديس من خلال المنتقد 1925، والشهاب 1926، حيث أن الصحافة أتت أكلها مع المشروع الباديبي فتناولته الجمعية مع السنة النبوية المحمدية، ثم مع جريدة الشريعة النبوية المحمدية بعدها.

بدأ الشيخ إفتتاحيته بربط الجريدة بالجمعية، وتنكر المغرضين لها، من خلال وضع المعوقات في سبيل وصول رسالتها إلى الشعب الجزائري وتعطيل رسالتها السامية ألا وهي تثقيفه والنهوض به حيث قال: "أسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأسست جريدة (السنة) المعطلة، وأسسنا اليوم بدلها (جريدة الشريعة المطهرة وستقوم -إن شاء الله - مقامها وتحل من القلوب محلها والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل" (1).

كما رد على المناوئين لسياسة الإصلاح من أعوان الإدارة، والطرقين الذين هزت أركانهم هذه الجمعية، فتأمروا عليها وعلى الشعب الجزائري بشتى الوسائل والطرق حيث قال:

1- الشريعة النبوية المحمدية، تعطيل السنة وإصدار الشريعة، العدد 1، السنة الأولى، قسنطينة، الإثنين 17 جويلية 1933.

" أستكثرتم على الجزائر أن تكون لها جمعية لها منزلتها العظيمة في قلبها وجريدة لها قيمتها الكبيرة في نظرها؟ فنبشركم أنه سيكون للجزائر الفرنسية جمعيات وصحف سيكون لها وسيكون ...". من هنا نقف على الرسالة الحقيقية للجمعية وهي قبول التحدي، وأن هذه الجريدة ماهي إلا وسيلة من وسائل الإصلاح المتعددة، كالتعليم وبناء المدارس، والمساجد وإلقاء الخطب والدروس وهي أسمى رسالة ستصل إلى قلوب الجزائريين ووجدانهم وسيحتضنونها وينبذون كل متآمر عليهم وعليها.

كما نشرت تخبر الجمهور بقضيتها والحييف الذي لاحقها من أعداءها جراء قرار تعطيل جريدة السنة الذي رفعته الى وزير الداخلية تبرأ فيه نفسها من كل عمل حاول الأعداء الوصول إليه لأنها لم تقم مايستوجب ذلك، حيث جاء على لسان المجلس الإداري للجمعية أن " الجريدة المعطلة لم تنشر إلا ماكتب من مواضيع دينية بحتة، وفي مسائل لاتخرج عن دائرة العقائد والعبادات، وتغتني الفرصة لإلفات نظركم إلى الدسائس التي يدسها لها بعض خصومها الذين لا غاية لهم سوى إنشاء شتى العراقيل في سبيل مشروعها التهذيبي الأخلاقي " ⁽¹⁾. حيث كلفت الجمعية محاميا برفع قضيتها لدى مجلس الدولة إحتجاج على هذا القرار الجائر.

ويبدو أن هذا العدوان لأمس القلوب الطيبة والرحيمة بالجمعية وأهلها، حيث أعلنت الجمعية الدينية لبونة (عنابة) عن موقفها الرسمي من طرف رئيسها حامدي الخوجة، حيث رفعه إلى رئيس وزراء فرنسا (دلاداي)، ووزير خارجيته (شوطان) إحتجاجا على تحجير جريدة (السنة) وكذا غلق المدارس القرآنية والمساجد. حيث إعتبرت هذه السياسة موجهة ضد الدين الإسلامي وأهله، وحتما ستسيئ لسمعة فرنسا الديمقراطية.

ونعتقد أن هذه الصور التي رفعتها الجمعية الهدف منها كشف الإستعمار أمام الشعب الجزائري الذي لم تثنه أي سياسة على الإلتفاف حولها ودعمها ومساندتها في جميع الأحوال وهذا مانستشفه من الاجتماع العام الذي عقدته يومي 3 و4 ربيع الأول 1352هـ بنادي الترقى بالعاصمة حيث قال الشيخ عبد الحميد بن باديس: "أيها الإخوان لقد

1- الشريعة النبوية المحمدية، تعطيل السنة وإصدار الشريعة، المرجع السابق.

إستجبتكم داعي الله عندما دعيتم إلى حضور هذا الاجتماع، فهل أنتم مستجيبون لنا كلما دعوناكم إلى ماتدعو إليه الجمعية من خيروما تحتاج إليه من مؤازرة وهل تعاهد المجلس الإداري كما عاهدكم على الإحتفاظ بالجمعية ونشر دعوتها الخيرية التهذيبية الإصلاحية ... فقالوا كلهم نعم ومدوا أيديهم يعاهدون المجلس على أن يكونوا مع جمعية المسلمين الجزائريين"

2-3- التصدي للطرقية والتيارات المنحرفة:

كان من بين أهداف الجمعية التي قامت عليها الدفاع عن الإسلام الصحيح، وتنقيته من الشوائب وما علق به من الأدران خاصة الإسلام التقليدي الذي تمثله بعض الطرق الصوفية التي تتمسك بالقدرية وتعتبر حال المسلمين والجزائر وتخلفهم وخضوعهم للاستعمار من قدر الله، حيث قال الشيخ الإبراهيمي: "أما إحياء مجد الدين الإسلامي فبقامته كما أمر الله أن يقام بتصحيح أركانه الأربعة: العقيدة والعبادة والمعاملة والخلق. فكلكم يعلم أن هذه الأركان قد أصبحت مختلة وأن إختلالها أوقعنا فيما ترون من مصائب وويلات " (1). كما إعتبرهم الشيخ بن باديس السذج الذين لا ينظرون إلا لمصالحهم حيث اختزلوا الوطن في أنفسهم لهذا حاربوا الجمعية التي تريد بعث الإسلام على السنة الصحيحة حيث قال: "وأما المرتابون فهم طوائف شتى تجمعهم صفة واحدة وهي إعتقاد أن الجمعية تعارض مصالحهم أو فيها مايعارض مصالحهم ... وقد كشفت عن مقاصدهم وكشفت لهم عما كانوا يرتابون فيه " (2).

وقد سجل الزاهري ذلك في انتخابات المجلس ومحاولة بعضهم الإستيلاء على الجمعية من خلال دفع الأموال والرشاوى قصد التصويت ضد الشيخ بن باديس والعلماء، حيث إعتبرها أحدهم عدواة شخصية مع الشيخ الرئيس الذي رد عليه بعض أخطائه وشروحه في جريدة الشهاب. حيث قال: "لابد لنا أن نستولي على جمعية العلماء ولا بد لنا أن نطرد

1- الشريعة النبوية المحمدية، الجمعية دعوتها وغايتها، العدد 4، السنة الأولى. قسنطينة الإثنى 7 أوت 1933.

2- الشريعة النبوية المحمدية، خطاب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين -الأستاذ عبد الحميد بن باديس ألقاه في الاجتماع العام - العدد 1، السنة الأولى، قسنطينة، الإثنى 17 جويلية 1933.

عنها كل عالم من العلماء وكل طالب من طلبة العلم، ولا بد أن تكون هذه الجمعية خالصة لنا من دون الناس، ولا يمكن لنا بحال أن نرجع عن محاربة جمعية يرأسها الشيخ بن باديس⁽¹⁾.

لقد وصفهم الزاهري* بالمشاغبين الذين يريدون قطع الطريق عن الجمعية في مواصلة رسالتها من خلال التآمر عليها بالسعي إلى إغلاق المساجد والكتاتيب القرآنية، لذلك تم الإعتداء عليه وسط مدينة وهران من طرف ثلاثة أشقياء إنهالوا عليه ضربا بالهراوات على رأسه حتى سقط مغشيا عليه.

تناولت الجريدة هذا الفصل المخزي الذي قام به الدجاجة ضد محررها، حيث دبرت الجريمة حسب تقرير الشرطة في أحد المساجد الذي أصبح مغارة تدبر فيه المؤامرات للقتل والإغتيال. والحق أن هذا العمل ليس الوحيد بل ستأتي بعده أعمال كثيرة في الإعتداء على رجال الإصلاح خاصة الشيخ الرئيس فيما بعد.

لقد اعتبرت جريدة الشريعة من قام بهذا الإعتداء هم جنود الشيطان الذين إعتدوا بأيادهم الاثمة على الزاهري الذي هنأته على ما أصابه في سبيل الله والدعوة إليه. كما قامت بإعلام الأمة وإشهادها على ماتعانيه جمعيتها من الولايات والمصائب في سبيل الحق

1- الشريعة النبوية المحمدية، يوم 23 ماي 1932، العدد 3، السنة الأولى، قسنطينة، الإثنين 31 جويلية 1933.

* محمد السعيد الزاهري: أديب وشاعر وصحفي ومصلح جزائري، ولد عام 1900 بقرية ليانة (بسكرة)، نشأ بها وتعلم وحفظ القرآن على يد شيوخ أسرته، ثم إنتقل إلى قسنطينة حيث تتلمذ للشيخ عبد الحميد بن باديس قرابة أربعة عشرة شهرا، ثم توجه نحو تونس الخضراء وجامعها الزيتونة المعمور الذي حصل منه على شهادة التطويع. عاد الزاهري الى الجزائر عام 1925، بعدما ذاع صيته في الجرائد المشرقية ككاتب فذ وشاعر ملهم، أنشأ العديد من الجرائد مثل الجزائر 1925، البرق 1927، المغرب العربي 1947، لكنها لقيت نفس الخاتمة والموقف الفرنسي من الصحافة العربية. إنظم إلى جمعية العلماء سنة 1932، وفي السنة نفسها إنتخب عضوا في مجلسها الإداري، لكنها لم يلبث أن غادرها عام 1936، ثم أعلن الحرب عليها، وإنظم على حزب الشعب الجزائري. توفي عام 1956. ينظر، عبد الحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، دار النعمان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 112-113. وكذلك، صالح الخرفي، محمد السعيد الزاهري، م.و.ك، الجزائر، 1986، ص 22.

والدفاع عن الإسلام الصحيح ودفعاً للشر والفتنة التي يريدونها المبطلون⁽¹⁾.

وتواصل إهتمام الجريدة بهذه القضية الساخنة في العدد الموالي (العدد الرابع)، لأنها شغلت الرأي العام خاصة المحلي في وهران، حيث نشرت إحدى الجرائد المحلية وهي جريدة (أوران ماتان) بالفرنسية في عددها الصادر يوم 30 جويلية 1933 سخط الأعيان المسلمين على هذا الحادث وعلى كل من له علاقة به. وقد دعت إلى كشف الحقيقة كيف ما كانت. وعبرت عن ذلك بقولها: "نشكو إلى الله دناءة وسفالة خصومنا الذين يحاربوننا بالنميمة والوشاية، ويجادلوننا بالمديّة والهراوة"⁽²⁾.

وعلى الرغم مما تعرض له الزاهري، لكنه واصل حربه على الطرقية والطرقيين في مقال بعنوان: (في مجلس حجاج)، والذي يبدو أنه يحتاج فيه هؤلاء ويقيم عليهم الحجة، حيث أن البعض منهم يرون أنه لا يصح ولا يكتمل حج الفرد إلا إذا أتم ذلك بزيارة سيدي بومدين الغوث، وبين إنتشار تلك العادة داخل المجتمع الجزائري وهي زيارة القبور والتمسح بها لدة العديد من الطرق، لكنه في الأخير إنتهى أن الإسلام الصحيح يكمن في عمل الإنسان الذي يحاسب عليه ولا دخل للوسائط في ذلك.

أما في موضوع الإعتداء عليه فقد كتب أنه من عمل أحد شيوخ الطرقية الذين أوغلوا صدور الناس عليه وعلى الجمعية، وإن الشرطة قبضت على أحد أتباعه ومريديه، وكشفت التحقيقات حجم المؤامرة التي يريد الجميع السكوت عنها، حيث قال: "لقد كان الجاني الحقيقي الذي أغرى على هذه الجناية بعض أتباعه الأجلاف، شيخاً من أشياخ السوء في وهران ... يتظاهر بالولاية والصلاح ليحتال بذلك على مافي أيدي الناس، ولا نصيب له من الولاية والصلاح إلا سب العلماء والوقوع في أعراضهم والإفتراء عليهم واكل لحوم الناس"⁽³⁾.

1- الشريعة النبوية المحمدية، إعتداء فضيع على الشيخ الزاهري -محضر الشريعة - العدد 3، السنة الأولى، قسنطينة الإثنين 31 جويلية 1933.

2- الشريعة النبوية المحمدية، الإعتداء على الأستاذ الزاهري، العدد 4، السنة الأولى. قسنطينة الإثنين 7 أوت 1933.

3- الشريعة النبوية المحمدية، من الزاهري إلى سائر الإخوان، العدد 6، السنة الأولى، 21 أوت 1933.

وفي سبيل التعريض بهم نشر مقالا في العدد الأخير من هذه الجريدة بعنوان: (إعتراقات طرقي قديم) ، حيث ذكر فيه كذب وزور هؤلاء الذين يتكسبون من عرق الفقراء والجهال من خلال حوارات المختلفة لبعض الطرق التي لم يكن هم أصحابها سوى خدمة مصالحهم والحفاظ على إمتيازاتهم على حساب الشعب الجزائري .

3-3- محاربة التنصير في الجزائر:

لقد واجهت الجزائر منذ إحتلالها حملة مسعورة ضد هويتها العربية الإسلامية، خاصة بعد إعلان القادة الفرنسيون عن النوايا الحقيقية من حملتهم وهي: القضاء على الهلال، ورفع الصليب. وبدأ هذا مع الإحتفال الذي أقيم يوم 11 جويلية 1830 في الساحة الرئيسية للقصبة حضره كبار القادة العسكريين وعلى رأسهم قائد الحملة الكونت دي بورمون، ورفع الصليب على أعلى منطقة في العاصمة، ورتل الجميع آيات الإنجيل بأصوات عالية أمام آيات القرآن التي أصبحت ميتة والتي كانت تغطي الجدران⁽¹⁾.

وإستمر الوضع كذلك طيلة القرن 19 خاصة مع وصول الأسقف لافيغري (1867-

1880) الذي إغتنام المجاعة التي ضربت الجزائريين دون المعمرين وكشف عن مخططة

الشیطاني وحقده على الإسلام والمسلمين لتنصير الأطفال الصغار وجعلهم نواة

مستقبلية لأسرة مسيحية لخدمة قوافل المعمرين. حيث قال: " هذا هو بالتأكيد الحل

الأنسب للقضية الجزائرية الكبرى لأنه هو وحده الذي يجعل تحت تصرفنا هذه الألاف

من الأيدي العاملة من أجل الأعمال السلمية وقد كانت دائما مستعدة لتحمل السلاح

ضدنا⁽²⁾. وقد عبر عنه أحدهم أنه إدماج الجزائري في فرنسا عن طريق المسيحية.

رغم أن هذا المشروع قديم قدم الإستعمار في الجزائر، لكنه تجدد في ثلاثينيات القرن

العشرين، عندما أطلقت الإدارة الإستعمارية أيدي المنصرين ورجال الدين لتنصير أكثر

من ألف وسبعمئة مسلم في حفل كبير يوم 23 ماي 1933 بمدينة الجزائر، حيث إعتبر

1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص 79.

2- الشيخ بوعمران، الأسقف لافيغري ونشاطه التبشيري في وادي شلف 1867-1892، مجلة الأصاله،

العدد 84-85، السنة التاسعة، جويلية -أوت 1980، ص 59.

الزاهري هذا السلوك مثل الوباء أو الزلزال الذي لحق بالبلاد وأهلها، وقال: " رأينا الآباء البيض ورجال الكاثوليكية يقيمون في هذا اليوم في عاصمة الجزائر الولائم والإحتفالات إحتفاء بسبعمئة ألف من المسلمين الجزائريين وقعوا فيما نصبوه لهم من الأشرار والأحباب، فإرتدوا عن دينهم القيم الحنيف، وإعتنقوا النصرانية ... " (1).

إعتبرت الجريدة ان هذا العمل تشارك فيه الجميع، بدءا من الأولياء الذين لم يجدوا من أين يطعمون أبناءهم أو يقومون بضروريات الحياة، فسلموهم إلى هذه الجمعيات التي إستغلت حاجتهم وجوعهم وهي نفس السياسة التي إنتهجها سالفهم لافيحري من قبل عندما رفع الصليب بيد والخبز بالأخرى. لقد إبتزهؤلاء الجياع الذين قادتهم الحاجة إليه. كما أن الكنيسة كان لها دور في هذا المشروع الشيطاني، لأنها أرادت بناء نفسها على مآسي الغير، وقد فضحت الجريدة هذا الأسلوب والنوايا السيئة في قولها: " فإلتقطهم المبشرون المسيحيون، وإستغلوا جوعهم وضعفهم فإستولوا عليهم واحتلوا فيهم العقائد والقلوب ... " (2).

ولم تكن تلك المعوقات هي ماذكرت فقط، بل تضافرت العديد من العوامل ضد هؤلاء الأطفال مثل الفقر والحاجة، وكذا الجهل، ثم العجز (الضعف)، كلها مجتمعة شكلت مصائب هذا الشعب المغلوب.

كما وجهت الجريدة سهام نقدها إلى شيوخ الذرق الصوفية المتعاونين مع الاستعمار، حيث ملئوا جيوبهم وصناديقهم من الفقراء والمحتاجين بإسم (الصدقات)، و(النذور)، و(الزيارات) ... وبدعوى صرفها على أوجه البر، لكنها أنفقوها على أنفسهم، وقدموها في شكل هدايا وهبات للمقربين منهم. لذلك كانوا هم السبب في ضياع الجهد وتفرق الكلمة، وجاء فيها: " لوأنهم آمنوا وإتقوا، وأنفقوا هذه الصدقات والنذور والأموال في أوجه الخير التي جمعت لها، من إنشاء الملاجئ للضعفاء والمعوزين وفتح المدارس والكتاتيب يتعلم فيها الأطفال المسلمون أمور دينهم، ولم يأكلوا هذه الأموال بغير حقها، لما أمكن

1- الشريعة النبوية المحمدية، ألف وسبعمئة مسلم يرتدون عن دينهم الحنيف، ويعتنقون النصرانية الكاثوليكية، العدد2، السنة الأولى، قسنطينة، 24 جويلية 1933.

2- نفسه .

للمبشرين بحال من الأحوال أن يظفروا وينصروا هذا العدد الكثير من المسلمين...⁽¹⁾.
إن هذا الكلام في حق الجزائريين، أو الطرق الصوفية والزوايا فيه الكثير من الشطط والإحجاف لأن الإدارة الإستعمارية هي من قامت بخنق كل تلك الاعمال، سواء الخيرية أو التعليمية لذلك فإن الجهد لم يعد يكفي طيلة القرن 19م، ومع مطلع القرن 20م فإن كل المؤسسات ماتت وأصبح التعليم ضحلا، وبقيت المبادرات كخيال أشباح وترك الشعب الجزائري إلى قدره إما الموت السريع أو الذوبان البطيء. لذلك جاءت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتداركت الوضع بعدما وضعت الإصبع على الجرح وإستطاعت إحياء ما حاول الإستعمار إفناءه.

وكان لابد على الجريدة إدراك المسؤول الرئيس عن الوضع الذي آل إليه المجتمع الجزائري، ألا وهو الحكومة الفرنسية التي تدعي أنها (لانكية) فحملتها المسؤولية عن سوء أوضاع الأطفال الذين بلغ عددهم ثمانمائة ألف هم في سن القراءة والتعلم لكنهم في الشوارع والطرق يلهثون وراء لقمة العيش في جهد ومشقة كبيرين.
إن الحكومة الفرنسية بسكوتها، وتواطئها ضاعت الحقوق التي إستغلتها الكنيسة في محاولة التغلغل داخل الشعب الجزائري وتثبيت نشاطها الذي طالما فشلت فيه منذ إحتلالها للبلاد. لكن الزاهري برؤيته المتبصرة لم ينه مقاله بالحداد والبكاء، لكنه آمن بمستقبل الجزائر المسلمة التي ستقوم بحماية نفسها وأبنائها، وستتخذ كافة الوسائل (الثورة) لدفع الخطر عنها.

• خاتمة: وفي ختام هذه الدراسة نقف عند العديد من النقاط الهامة أهمها:

- على الرغم من قصر عمر جريدة الشريعة النبوية المحمدية (7 أعداد) خلال شهر ونصف أو أقل من ذلك (41 يوما) ، لكنها إستطاعت أن تضع قدمها في قافلة مجهود الجمعية الذي إبتدأ مع السنة النبوية المحمدية في التصدي للسياسة الإستعمارية بمختلف أشكالها وأبعادها ، وظلت وفية للخط الأول في الإصلاح الذي رسمه الشيخ بن باديس إلى غاية تعطيلها .

1- الشريعة النبوية المحمدية، ألف وسبعمائة مسلم يرتدون ... مرجع سابق.

- لقد حافظت جريدة الشريعة النبوية المحمدية على الخط المستقيم لنهج الصحافة العربية الذي رسمته الجمعية في معالجة جميع القضايا المختلفة، سواء التعليم، والأخلاق، والشغل، وكذا حتى القضايا السياسية وهذا دليل على تفتحها على جميع الآراء لكن ليس على حساب الوطن وشعبه.

- إن جريدة الشريعة النبوية المحمدية ضمت بين جنباتها أحسن رواد الحركة الإصلاحية وأفضل أعلامها وعلى رأسهم الشيخ بن باديس، والإبراهيمي، والزاهري ... وهذا ما أربع الإدارة الإستعمارية إلى وضعها تحت مجهر الرقابة وأخذت تتحين لها الفرص والذرائع إلى غاية وأدها في عز عطاءها وقمة بروزها.

- لقد رفعت الجريدة لواء الحرب على الإستعمار وأذنبه خاصة الطرق الصوفية الفاسدة التي كانت أشد خطرا على حياة الأمة ودينها، حتى وصل الشعب الجزائري بفضلها إلى أحلك أيامه وأسوأها ، لذلك رفعت الجمعية وجريدتها لواء كشف مساوئ هذه الطرق ونقل المعرفة الصحيحة للشعب من خلال الدروس المسجدية ، أو التعليم العربي الحر، والمحاضرات التي إستطاعت تطهير الدين الإسلامي مما علق فيه من قشور الجهل و الامية . لذلك كانت نتيجتها الإعتداء على الزاهري -كما ذكرنا - والشيخ بن باديس قبل ذلك.

- شكلت هذه الجريدة الحصين المنيع في التصدي لكل محاولات مسخ الهوية الوطنية أو العبث بالدين الإسلامي، من خلال كشف الأعياب الإستعمار لتنصير المجتمع الشعب الجزائري، وبينت تواطئ الإدارة مع الكنيسة لإحياء المشروع القديم قصد إنشاء الكنيسة الإفريقية في الجزائر. وعلى الرغم من تلك الجهود كلها لكنها ضاعت هباءا منثورا أمام إرادة الشعب وتمسكه بدينه، وحسن وقوف هؤلاء العلماء وصحافتهم الغراء في وجه تلك المؤامرات حتى أفشلتها.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1992.
- 2- أحمد حماني، سير العلماء، شهداء علماء معهد ابن باديس، قصر الكتاب، الجزائر، 2004.
- 3- الشريعة النبوية المحمدية، تعطيل السنة وإصدار الشريعة، العدد 1، السنة الأولى، قسنطينة، الإثنى 17 جويلية 1933.
- 4- الشريعة النبوية المحمدية، الجمعية دعوتها وغايتها، العدد 4، السنة الأولى، قسنطينة، الإثنى 7 أوت 1933.
- 5- الشريعة النبوية المحمدية، خطاب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الأستاذ عبد الحميد بن باديس ألقاه في الاجتماع العام، العدد 1، السنة الأولى، قسنطينة، الإثنى 17 جويلية 1933.
- 6- الشريعة النبوية المحمدية، يوم 23 ماي 1932، العدد 3، السنة الأولى، قسنطينة، الإثنى 31 جويلية 1933.
- 7- الشريعة النبوية المحمدية، إعتداء فضيع على الشيخ الزاهري -محرم الشريعة - العدد 3، السنة الأولى، قسنطينة، الإثنى 31 جويلية 1933.
- 8- الشريعة النبوية المحمدية، الإعتداء على الشيخ الزاهري، العدد 4، السنة الأولى، قسنطينة، الإثنى 7 أوت 1933.
- 9- الشريعة النبوية المحمدية، من الزاهري إلى سائر الإخوان، العدد 6، السنة الأولى، 21 أوت 1933.
- 10- الشريعة النبوية المحمدية، ألف وسبعمائة مسلم يرتدون عن دينهم الحنيف، ويعتقون النصرانية الكاثوليكية، العدد 2، السنة الأولى، 24 جويلية 1933.
- 11- الشيخ بوعمران، الأسقف لافيغري ونشاطه التبشيري في وادي الشلف 1867-1892، مجلة الأصول، العدد 84-85، السنة التاسعة، جويلية، أوت 1980.
- 12- صالح الخرفي، محمد السعيد الزاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- 13- عبد الله مقلاتي، إسهام شيوخ معهد عبد الحميد بن باديس وطلابه في الثورة التحريرية، ت، عبد العزيز فيلاي، دار الهدى، الجزائر، 2014.
- 14- عبد الحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، دار النعمان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
- 15- محمد ناصر، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2007.
- 16- المرصاد، تعطيل الشريعة والنبراس، العدد 57، السنة 2، الجمعة 1 سبتمبر 1933.
- 17- مولود عويمر، جريدة السنة: التجربة الإعلامية الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 10، ديسمبر 2018.